Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

المعاظلة مفهوماً وتطبيقاً في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي

Al-Mua'adhlah as a Concept and Application in the Arab Poem until the Umayyad Era

أ.م.د. نبراس خماس محمد

Assistant Professor Dr Nibras Khammas Mohammed

العراق/جامعة تكريت –كلية التربية طوزخورماتو – قسم اللغة العربية

الملخص

المعاظلة مفهوم نقدي يحمل في طياته معاني التراكب والتداخل والتعقيد ، إذ ظلت الأبيات التي حوت هذا المفهوم موضع التحليل والنقد من البلاغيين والنحويين والنقاد ، ويحاول هذا منطلقاً من إشارات النقاد الكشف عن المعاظلة مفهوماً وتطبيقاً ويعنى البحث باستجلاء مفهوم المعاظلة وفهم النصوص التي جاءت فيها .

الكلمات المفتاحية:مفهوم المعاظلة ، المعاظلة في النقد والبلاغة ، دراسة تطبيقية .

Abstract

Al-Mua'adhlah is a critical concept that carries the meanings of overlapping and complexity. The verses that have been this concept have been the subject of analysis and critique of the linguists and critics. This attempt is based on the references of the critics and understand the texts that contain it.

حدودالبحث:نصوصمن الشعر الجاهلي والاسلامي

هدف البحث : تسليط الضوء على مفهوم المعاظلة في اللغة والاصطلاح وبيان رأي النقاد والبلاغيون.**خطة البحث** : قام البحث على مدخل تعريفي بينت فيه المعاظلة في اللغة والاصطلاح ومحورين ، المحور الاول :المعاظلة في المنظور النقدي والبلاغي ، المحور الثاني : دراسة تطبيقية على النصوص التي جاءت فيها معاظلة ومحاولة فهم هذه النصوص وسبر اغوارها .

الخاتمة : وتشمل أهم الاستنتاجات والتوصيات .

المدخل : مفهوم المعاظلة

الوضوح والبساطة سمة بارزة في الشعر العربي ؛ لأن الشاعر بفطرته وبساطة الحياة التي عاشها يميل إلى الوضوح ، فجاءت اشعاره بعيدة عن التعقيد والمعاظلة ، ولكن مع هذا الوضوح تسرب شيء من الغموض والتعقيد إلى الشعر ، إذ لم يخل الشعر القديم منه ، ولكنه لم يصل إلى ظاهره وانما نماذج قليلة بالنسبة للوضوح والابانة فيه[1] وقد فطن صاحب العدسة النقدية عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) لقضية الغموض إذ قال ((ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيلَ بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه في النفس أجل وألطف وكانت النفس به أضنَّ وأشغف))[2]فرأى أن المعنى يكون لطيفاً إذا كان لا يتوصل إليه المتلقي ألا بالفكر والتدقيق وكنى عن التنقيب عن المعنى بالشوق والحنين إليه ، فكأنه غائب ويحن السامع لملاقاته ووصف موقعه بالأجل والألطف لأنه نيل بعد جهدٌ

[1] -ينظر: العطوي ، مسعود ، الوضوح والغموض في الشعر العربي :٢٠٨.

[2] -الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة :١١٨.

ومكابدةٌ ، وهذا يشمل التعقيد الفني الذي ينجلي للقارئ والناقد الذي يمتلك رؤية نقدية ودربة وقراءة موسعة ولايشمل الشعر الذي يشبه الطلاسم ولا يمكن فك رموزه كما في بعض اشعار الفرزدق ، فكلمة (عاظل) في مدلولها اللغوي تعني الاضطراب والتداخل وعدم الترتيب ففي لسان العرب((لم يعاظل الكلام :أي لم يحمل بعضه على بعضٍ ولم يتكلم بالرجيع من القول ولم يكرر اللفظ والمعنى ، ...أي لا يُعقده ولا يوالي بعضه فوق بعضٍ . وكل شيءٍ ركب شيئاً فقد عاظَله .))[٣]فالمعاظلة هي التعقيد ومجيء الكلام بعضه فوق بعض دون مراعاة الترتيب والتنسيق ، وجاء في مجمل اللغة ((عظل : التعاظل : تداخل الشيء بعضه في بعض))[٤]فالتعاظل التداخل ، وفي مقاييس اللغة ((فلان لا يعاظل في شعره بين القوافي ، أي لا يجعل بعضها بعضٍ))[٥] فقد عد بعض النقاد المعاظلة من عيوب الشعر (لم يكن الشعراء قديماً يعاظلون إلا قليلاً))[٦]إذ وردت نماذجقليلة من المعاظلة ولم ترتقِ إلى ظاهرة والدليل على إن هذا الضرب هو من عيوب الكلام خلو القرآن الكريم منه وهو يعد اعلى نمط يمكن القياس عليه ، فقد اجمعت المعاجم على معنى التلازم والتراكب ومنه نستخلص المعنى الاصطلاحي للمعاظلة ، وهي التي وصف ((عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) زهيراً بمجانبته لها فقال : أنشدوني لأشعر شعرائكم ، قيل ومن هو ؟ قال :زهير ، قيل وبما صار ذلك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل ألا بما فيه))[٧]وإذا تفحصنا رواية الفاروق النقدية وجدناه وصفَ زهيراً بأنه أشعر العرب ، ومعنى ذلك أنه قدمه على الشعراء

٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ١١: ٤٥٧، ينظر :الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٠: ١٤.

٤ - ابن فارس ، أحمد بن فارس ، مجمل اللغة : ٦٧٥

٥- ابن فارس ، احمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ٤: ٣٥٦ .

٦- عبدالحميد ، احمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٢: ١٥١٨

٧- ابن سلام ،طبقات فحول الشعراء، ١: ٦٣.

جميعاً ، وعلل سبب التقديم بأنه (لايعاظل في الكلام) وقدمها على سائر الاسباب الموجبة للتقديم ، ووردت تعاريف متعددة ولكنها متداخله تتكئ على المعنى اللغوي للمعاظلة في الكتب النقدية ، فقد ورد تعريفها عند قدامة بن جعفر :((سألت احمد بن يحيى عن المعاظلة فقال :مداخلة الشيء في الشيء))[٨] وجاء في الموازنة ((هي مداخلة الكلام بعضه في بعض ، وركوب بعضه لبعض))[٩] ونجد الآمدي يتكئ على تعريف قدامة للمعاظلة وخالفهم العسكري في الصناعتين إذ قال :((المعاظلة في اصل الكلام إنما هي ركوب الشيء بعضه بعضاً ، وسمي الكلام به إذا لم ينضد نضداً مستوياً وأركب بعض الفاظه رقاب بعض ، وتداخلت أجزاءه ، تشبيهاً بتعاظل الكلاب والجراد))[١٠]فالكلام الذي لا يأتي مستوياً ولم يرتب ترتيباً وفق المعاني ، وتراكبت ألفاظه ، وتداخلت أجزاءه ، فهو من الكلام المتعاظل الذي دعا النقاد إلى اجتنابه ، وطالبوا بوضع الالفاظ في موضعها اللائق بحيث لا يكون الكلام شديد المداخلة[١١]، وورد تعريفه عند الرافعي بصورة تجمع ماسبق من تعاريف وتضيف إليها من وحي قلم الرافعي إذ قال:((سمي الكلام المتراكب في ألفاظه وفي معانيه بالمعاظلة ،كلما تراكب الكلام وتداخله بَعُد المعنى وتداخل الفهم لدى متلقي الشعر، وكان فهمه عسير وفائدته بعيدة ، فالمستحب هو الشعر المستوي الأجزاء الذي تدل الفاظه على معانيه ، وتترتب على حسب ورود الفاظه في ذهن متلقيه))[١٢] إن الرافعي هنا يحرص على الابتعاد عن التعقيد لكي لا يتداخل الفهم ويبعد المعنى عن المتلقي وبذلك تذهب فائدته ، وشدد على سلك الشعر المستوي الاجزاء

[٨]- جعفر ، قدامة ، نقد الشعر ،١: ٦٦ .

[٩]- الآمدي ، الموازنة بين ابي تمام والبحتري ،١ :٢٩٣.

[١٠]- العسكري ، ابو هلال ،الصناعتين: ١٦٢.

[١١]- ينظر الخفاجي ، سر الفصاحة : ١٥٧.

[١٢]- الرافعي ، تاريخ آداب العرب : ٣.

الذي يدل بعضه على بعض وتقود ألفاظه إلى معانيه . وعرفها ناقد معاصر بانها ((تصعيب الكلام وتعقيده بأن يركب بعضه بعضا ويتداخل حتى يثقل نطقه وسماعه))[١٣]فالمعاظلة والتعقيد تسلم إلى الثقل في النطق وفي سماع الشعر وذهاب المتعة فيه وفي تلقيه .

المعاظلة في التراث النقدي والبلاغي

مال العرب إلى الوضوح والابانة في كلامهم وجاءت مصطلحات علومهم تنبئ عن هذا الميل كالإعراب والبيان والفصاحة ، وتجنبوا التعقيد واللفظ الوحشي الشائك والكلام الذي يركب بعضه بعضا ، فالوضوح هو الاصل وقد استجادوا الكلام المتجانس إذ قالوا :((كلام يدل بعضه على بعض ، وآخذ بعضه برقاب بعض))[١٤] فقد امتدحوا الكلام المستوي الذي يتشبث بعضه ببعض وذموا الكلام المتداخل وعدّوه من سوء النظم ومن عيوب اللفظ وأرادوا من الكلام أن تأتي ألفاظه في مواضعها ، وأن تقع الكلمة مع ما يشاكلها ،واكثر الشعر الذي حاز الاعجاب واخذ الالباب هو على هذه الشاكلة ، وقد جاء في كتاب الموازنة الكثير من الامثلة على هذا النمط واستشهد لزهير بن ابي سلمى[١٥] في استواء أجزاءه وكمال نظمه وبعده عن المعاظلة والتعقيد يقول[١٦] :-

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

افتتح البيت (سئمت) وختمه ب (يسأم) فلما قال ومن يعش ثمانين حولاً قدم اول كلامه سئمت إذ اقتضى المقام إن يكون اخر البيت يسأم فمع تكاليف الحياة جاء سئمت فالتكاليف تدعو للسأم فجاءت بلسان حال المفرد ومع الثمانين حولا جاءت يسأم للغائب الآخر (المجموع) فطول السنين تدعو للسأم والملل من الشاعر ومن غيره ، فلله درّ الشاعر كيف جاءت ألفاظه متجانسه يأخذ بعضها برقاب بعض وهذا ما اراده

[١٣]- محمود ، محمد عارف ، النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٢٨١.

[١٤]- الآمدي ، الموازنة ، ١: ٢٩٧.

[١٥]- ينظر آلامدي ، الموازنة ،١ :٢٩٧ .

[١٦]- قباوة ، فخرالدين ، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى : ٢٥.

العسكري ((حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها ، وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى ويضم كل لفظه منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها. وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها))[١٧]نجد مما تقدم أن النقاد الاوائل طالبوا الشاعر بالابتعاد عن المعاظلة والتعقيد لئلا يُفهم الكلام فهماً خاطئاً أو يفسر في غير ما وضع له ، وقالوا من الحسن أن توضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يتجاوز التقديم والتأخير والحذف الذي يؤدي إلى فساد المعنى ، ليخرج بذلك الكلام من سوء النظم ، فمن سوء النظم المعاظلة كما عدها العسكري [١٨]، فالعرب أرادو البيان والايضاح في المنظوم والمنثور وهو ما يُسلم الشاعر من التعقيد واللبسْ وطالبوا أن((يكون الكلام يحيط بمعناك ، ويجلي مغزاك))[١٩] وهو الكلام الواضح البعيد عن التعقيد الذي يفسر بعضه بعضا وتحيط الفاظه بمعانيه ، وهو ما ذكره بشر بن المعتمر في صحيفته ووصيته للقائل بأن يبتعد عن التوعر والتعقيد لئلا يخرج الكلام من المفهوم إلى المعمى ((إياك والتوعر فأنه يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك))[٢٠] ، وقد ساوى عبدالقاهر الجرجاني المعاظلة بالتعقيد ، فقرن تتبع الحوشي وهو الغريب من غير شبهه إلى المعاظلة التي هي التعقيد[٢١]ومنهم من قسم المعاظلة أسوة بالتعقيد ، إذ جمعوا بينهما فقد وردت عند ابن الأثير على قسمين ، المعاظلةمعاظلتان :لفظية ومعنوية ، فاللفظية تشمل تكرار أدوات أو حروف أو صفات متتابعة تكراراً يؤدي إلى الثقل ومثل لذلك بالبيت الشعري المشهور[٢٢] :-

---

[١٧]- العسكري ، الصناعتين : ١٢٩.

[١٨] - ينظر: م . ن : ١٢٩

[١٩]- الجاحظ ، البيان والتبين :١٣٦.

[٢٠]- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١: ١٣.

[٢١]- الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ١: ٢٩٧.

[٢٢]- ينظر ابن الاثير ، المثل السائر ، ١: ٣٠٥.

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

فتكرار القافات والراءات كأنها في تتابعها سلسلة تثقل على السمع وتخرج الشعر من متعته وفائدته إلى الكلام القريب من الالغاز ، الذي يؤدي إلى استغلاق الافكار وبعد التأويل والتحليل مما يؤدي إلى خلق حاجز بين الشعر ومتلقيه ، فالتعقيد الذي يشف عما تحته ويظهر المعنى بعد تأمل يعد من التعقيد المحمود ، أما التعقيد المذموم فهو الذي يحتاج إلى معاناة وجهد لفك شفراته وسبر اغواره[٢٣] ، وقد حاز زهير بن ابي سلمى السبق والريادة لتجنبه المعاظلة ومجيء اشعاره تتسم بالجزالة والوضوح والبعد عن التكلف وسلامة التعبير ، إذ وصفه الفاروق (رضي الله عنه) قال : ((إن من اشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يعاظل بين الكلام))[٢٤] إذ جاء شعر زهير يحمل صوراً بديعة من طرائق التعبير ودقة العبارة واستواء النظم ، فقد حاز الشهرة والتفضيل من خلال مجانبته المعاظلة والغرابة ، واذا نظرنا في نقد الفاروق (رضي الله عنه) نجده نقد موضوعي معلل ، اعتمد التركيز على جوانب الكلام وهي الألفاظ والمعاني فالالفاظوصفها بالألفة والسلاسة والخلو من التعقيد والتراكب والتوعر ، ومن امثال شعره المستوي الاجزاء قوله[٢٥]:-

وَلو أنَّ حمداً يخلدُ الناسَ خُلدوا ولكنَّ حمـد الناس ليس بمخلـــدِ

تبرز شاعرية النص الشعري على الرغم من تكرار مفرداته ، إذ أدت الألفاظ دورها في تفعيل المعاني فستحق

الشهرة ، واستحق هذه الشهادة بأنه أشعر الشعراء وقال في نص أخر[٢٦] :-

[٢٣]- ينظر بدوي احمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب: ٤٣٧.

[٢٤]- القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، ١ :٦٠ .

[٢٥] - قباوة ، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى :١٩٠.

[٢٦]- م . ن : ٤٣.

فما يـكُ مـنَ خيـر اتـوه فإنما تـوارثه آبـاء آبـائِهـم قبـــــل

ففي النص جمع الشاعر المكارم للسابقين واللاحقين دون أن يحسب من المبالغة ، والأمثلة كثيرة في شعر زهير بن أبي سلمى ، وقد وردتالمعاظلة في اشعار الفحول كالنابغة، ولا نراها وقعت في شعر زهير [٢٧]فالتقسيمات التي ورد ذكرها سنقف على نماذج منها لتوضيح تلك الاقسام ، فالمعاظلة اللفظية هي المختصة بالألفاظ من ترتيب وتكرار مخل بالمعنى المراد وهي على أقسام منها ما يختص بتكرار الأدوات كقول عمرو بن كلثوم[٢٨] :-

لـعمرك مـا إن لـه مـن صخـرة لـعمـــرك مـــا إن لـــــــــه مـن وَزَرْ

فالمعاظلة تتأتى من تتابع الأدوات في شطري البيت مما يولد ثقل في البيت الشعري ، فالشاعر عمد إلى تكرارها في البيت الشعري مما ولد معاظلة لفظية .

ومنه قول أمرىء القيس [٢٩]:-

سماحة ذا وبـــــر ذا ووفـــــــــاء ذا ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سـكر

فالبيت فيه ثقل صوتي متأتي من تكرار (ذا) الذي اثقل البيت ، وخرج من التكرار المحمود إلى التكرار المذموم ، إذ طغى على البيت لفظة (ذا) حتى شتت ذهن السامع في تكرارها وتتابعها .

وقال ابو نصر البراق [٣٠] :-

---

[٢٧]- العسكري ، الصناعتين ، ١٦٣.

[٢٨]- بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن، ٣٥٦ .

[٢٩]- أمرئ القيس ، ديوانه : ١٣٠ .

[٣٠]- الروضان ، موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ١٦ .

فمن بقي فيكم من هــذه فـــــله فخر الحيـــــاة وان طالـــت لياليـــه

تعاقب الحروف في شطر واحد اثقل البيت ووسمه بعدم التناسق والبعد عن الافهام ، ففرادة الشعر تتأتى من فخامة المعاني التي تعبر عنها الألفاظ وبيت الشاعر جاء رصفاً من الحروف التي لا تدل على معنى فخم فأكسبت البيت معاظلة لفظية بسبب تتابع الحروف .

وورد مثل ذلك في شعر الفرزدق [٣١] :-

فقد خالفت قيس على الناس كلهم تميمـــــــاً، فهم منها ومنـــها تميـــمها

اراد الشاعر إن قيساً وبنو تميم قبيلة واحدة ، ولكن التقديم والتأخير وتعاقب الحروف في النص الشعري اخرج البيت من الواضح المفهوم إلى المعمى المتداخل .

وقد تتأتي المعاظلة اللفظية من تتابع الصفات في البيت كقول أمرئ القيس [٣٢]:-

ألص الضـــروس حَني الضـــــلُوع تبـــــــوعٌ طلـــــوبٌ نشيطٌ أشِـــــــرْ

عمد الشاعر إلى سرد صفات كلب الصيد من خلال تتابعها ورتابتها التي اثقلت البيت ،فيما لو اقتصر على صفة أو صفات محددة لكي تؤدي جمالية شعرية وصفية .

أما المعاظلة المعنوية فهي التي تتعلق بالمعنى ، فلا يفهم من أول قراءة ؛ لأنه يلتبس على القارئ،فالطابع العام للمعاني طابع ملتبس متداخل بسبب تشابه المعاني والتقديم والتأخير الذي يلجأ إليه الشاعر للتعبير عن مقاصد مختلفة قد لاتأتي على ترتيب الجملة فيحدث لبس في الفهم ؛ لان تغيير أي مكون من أجزاء الجملة العربية إلى موضع آخر ينبئ عن غاية للشاعر مقصودة ، وفي بعض الاحيان عفو الخاطر ، كقول امرئ القيس [٣٣] :-

---

[٣١] - الفرزدق ، ديوانه :٥٣١ .

[٣٢] - امرؤ القيس ، ديوانه :١٧٣.

[٣٣] - أمرئ القيس ، ديوانه : ٣٠.

تسـلت عمايات الرجال عـن الصـبا وليس صبـاي عـن هـواها بِمُنسَـلِ

ففي النص تقديم وتأخير يؤدي إلى عدم تناسق المعنى ، إذ فيه قلبٌ تقديره : تسلت الرجال عن عمايات الصبا ، بمعنى خرجوا من ظلماته ،وليس فؤاد الشاعر بخارج من هواها أو تاركه ، فالمعاظلة تتأتى من بعُد الفهم إلا بعد معرفة التقديم والتأخير . فليس العمايات التي تتسلى وإنما الرجال هي التي تذهب وتزول جهالتهم ، ويتابع المعاظلة في البيت التالي إذ يقول [٣٤]:-

ألا رُبَّ خصمٍ فـيك ألـوى ردَدتـه نصيـحٍ غـير تـعذالـهِ غـير مؤتـلِ

فقد تابع المعاظلة في النص وجاء بالتقديم والتأخير الذي أربك المعنى وعماهُ ، وخرج من الوضوح والفهم إلى الغموض وتقدير البيت : ألا رب خصم ألوى نصيح على تعذاله غير مؤتل رددته ، وتحرير المعنى :أنه يخبرها ببلوغ حبه إياها الغاية القصوى حتى إنه لايرتدع عنه بردع ناصح ولا يؤثر فيه لوم لائم .

ومما جاء بالمعاظلة قول النابغة الجعدي[٣٥]:-

وشمـول قهـوة بـاكرتـها في التباشيـر مـع الصبـح الأول

جاء التقديم والتأخير في النص مبهماً ؛ لأنه أربك القارئ في معرفة الصبح الأول والتقدير :أي في التباشير الأول مع الصبح .

ومنه قول النابغة الذبياني[٣٦]:-

يثـرن الثـرى حتـى يباشرن بـرده إذ الشمس مجـت ريقها بالكلاكـل

---

[٣٤]:- م . ن : ٣٠ .

[٣٥]- الجعدي، ديوانه :١١٤.

[٣٦]– الذبياني ، النابغة ، ديوانه : ١٢٨.

فالمعاظلة وقعت من تأخير (بالكلاكل) إلى آخر البيت مما أدى إلى بُعد المعنى وتراكب الكلمات نتيجة الفصل بينهما ، فالرابط بين التراكيب غير منسق ويحتاج إلى اعمال الفكر لترتيب المعنى فلفظة (كلاكل) تقع بعد لفظة (برده) ليكون ترتيب البيت : يثرن الثرى حتى يباشرن برده بالكلاكل .

وكما وردت المعاظلة في اشعار الجاهليين وردت في أشعار الأمويين ، فالشعر الأموي يعد امتداداً للشعر الجاهلي ، وقد اشتهر الفرزدق بذلك إذ يقول [٣٧]:-

وما مثله فـــــــــي الناس إلاَّ مُمـــــلَّكاً أبو أمـــــــــّه حَـــــيّ أَبوهُ يُقـــــــــارِبُهْ

شاع هذا البيت في كتب البلاغة القديمة والحديثة شاهداً على ضعف التأليف وسوء النظم ؛لان الشاعر لم يرتب الألفاظ في البيت على ترتيب المعاني في فكر المتلقي ، فكدَّ وكدَّر ، ومنع المتلقي أن يفهم المقصود إلا إن يقدم ويأخر ، وقد وصفه ابن الاثير في كتابه قائلاً: ((الفرزدق اكثر الشعراء تعاظلاً وتعقيداً في شعره ، وكأنه كان يقصد ذلك ويتعمده))[٣٨] والذي يتتبع ديوانه يقف على كثير من هذه النصوص ، فكأنه كان يتقصد هذا النوع من التعقيد ، طلباً لإثارة الجدل حوله والشهرة له ، ولا ننسى عبارته المشهورة ((علينا أن نقول وعليكم أن تحتجوا))[٣٩]، ويرى البلاغيون أن عدم مراعاة ترتيب الالفاظ الواردة البيت لترتبها المعنوي في الذهن أبهم الكلام وفوت على المتلقي المقصود من التجربة الشعرية ، فالتقديم والتأخير والفصل أدخل النص في سوء النظم والمعاظلة في الفهم .

ومثله قوله[٤٠] :-

إلـــى ملك ما أمـــه من محـــــــارب أبـوه ولاكـــــانت كليـــب تصاهـــــــره

فالنص يميل إلى التعقيد نتيجة ورود التقديم والتأخير المبهم وتقديره : ملك أبوه ما أمه من محارب .

---

[٣٧] – المبرد ، الكامل في اللغة ولأدب ،١ : ٢٨.

[٣٨]– ابن الاثير ، المثل السائر ،٢ : ٤٢.

[٣٩] – ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١ : ٨٩ .

[٤٠] – الفرزدق ، ديوانه : ٢٢٢.

ومثله النمر بن تولب [٤١] :-

ويـلـــبس للـــدهـــر أجـــلالـــهُ فلـــن يبـــنـــي النـــاسُ مـــا هُـــدَّمـــا

وإن أنـــــت لاقيـت فـــي نجـــدة فـــلا تتهـــيـــبـــك أن تـــقـــدمـــــا

تصور الأبيات الشاعر حكيماً وتحمل طابع شعر الحكمة ، وهذا يتطلب من الشاعر الوضوح والسلاسة ، ونجد الشاعر مال إلى المعاظلة وبيت الشاهد (فلا يتهيبك) وهو في موضع حث على الاقدام فقلب الكلام ، إذ أراد اذا لاقيت الشدة والامر الشاق فلا تتهيبها فقلب ، ومعنى فلا تتهيبك ان تقدم : فلا تتهيب الاقدام .

ووردت المعاظلة في قول أبي ذؤيب الهذلي [٤٢] :-

أمنـــك البـــرقُ أومضـــى ثم هـــاجـــا فـــبـــت إخـــــالهُ دُهـــمـــاً خِـــــلاجـــا

يصف الشاعر صورة المطر مشبهاً صوت الرعد بحنين الابل فالمحذوف تقديره: اخال الرعد حنين دهم ، فهو يشبهه الرعد بحنين الابل المفصولة عن أولادها ،فالمحذوف داخل الكلام ولم تظهر صورة التشبيه جلية .

ومن المعاظلة قول الفرزدق [٤٣] :-

فَما أحـــدٌ مِنْ غيرهـــم بسبيلهـــم وَمَـــا النـــاسُ إلاّ منُهُـــم بمُقِيـــم

التقدير : وما أحد من الناس في غيرهم إلا فيهم ، وهذا كثير في شعره ، بالإضافة إلى كثرة الحروف التي تحتاج الى تأمل معانيها .

[٤١] – العكلي ، النمر بن تولب ، ديوانه : ١١٦ ، وينظر التيمي ، عمر بن لجأ ،ديوانه :١٤٩ .

[٤٢] – الهذلي ، أبو ذويب ، ديوانه : ٢٥ .

[٤٣] – الفرزدق ، ديوانه : ٥٣٢.

ومنه قول الشماخ [٤٤]:-

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوِشاح إذا مشت تَخَامُصَ حَافي الخيلِ في الأَمْعَزِ الوَجي

في البيت فصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور ، أراد : تخامص حافي الخيل الوجي في الأمعز ، فالفصل ادى إلى المعاظلة وسوء الفهم ، والمعنى يصف محبوبته بالرقة والرهافة حتى أن ودع الوشاح يؤذيها ببرده فتتجافى عنه .

لعلنا قد وصلنا في نهاية هذا العرض إلى مفهوم المعاظلة وبسطنا الموقف النقدي منها عند كبار النقاد ، وبالأخير ما هذا إلا مشروع بحثاً يفتح الباب لدراسات أخرى ، إذ اقتصرنا في دراستنا على نماذج عامة لتوضيح المعاظلة دون استقصاء كل الامثلة .

الخاتمة :-

- أجمعت معاجم اللغة على معنى المعاظلة وهو تداخل الشيء في الشيء والتراكب .
- لم يخرج المفهوم الاصطلاحي للمعاظلة عن المفهوم اللغوي ودل على عدم التناسق والتداخل .
- لم تخلُ نصوص الشعراء الكبار من المعاظلة .
- العصر الأموي كان امتداداً للعصر الجاهلي ،إذ سار الشعراء الأمويين على خطى الجاهليين ،فجاءت في اشعارهم المعاظلة واكثرهم الفرزدق.

التوصيات

- التكثيف من الدراسات النقدية لبحث مسائل المعاظلة والتعقيد .
- استقصاء النماذج الشعرية لشعراء محددين أو حقبة محددة والوقوف على بواعث الشعراء للقول بالمعاظلة .

[٤٤]- الشماخ ، ديوانه : ٧٥ .

مكتبة البحث

١- الجرجاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني :

أ- أسرار البلاغة ، ط١، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٢هـ .

ب- دلائل الاعجاز ، تحقيق: الدكتور محمد التنجي ، ط١، دار الكتاب ،بيروت ، ١٩٩٥م .

٢- الهذلي ، أبو ذؤيب ،ديوانه، تحقيق : الدكتور أحمد خليل الشال، ط١، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية ببور سعيد ، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م .

٣- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الازدي (٤٦٣هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٥، دار الجيل ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .

٤- الآمدي ، ابو القاسم الحسن بن الاثير (٣٧٠هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط٤، دار المعارف ، ١٩٩٤م .

٥- العسكري ، أبو هلال الحسن عبدالله بن سعيد بن يحيى (٣٩٥هـ) الصناعتين، تحقيق :علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ١٤١٩هـ .

٦- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري(٢٧٦هـ) ،الشعر والشعراء، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٣هـ .

٧- الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد الحلبي(٤٦٦هـ)،سر الفصاحة ،ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م

٨- بدوي ، أحمد ، أسس النقد العربي عند العرب ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٩٦م.

١٠- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، الرازي ، أبو الحسن (٣٩٥هـ) :-

أ- مجمل اللغة ، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان،ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

ب- معجم مقاييس اللغة ،تحقيق :عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

١١- عبدالحميد ، أحمد مختار (١٤٢٤هـ) ،معجم اللغة العربية المعاصرة ،ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

١٢- امرىء القيس ، ديوانه ، محمد الاسكندراني ، تحقيق محمد رزوق ، محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٣- بن أبي سلمى، زهير ، صنعه الأعلم الشنتمري، ديوانه، تحقيق فخرالدين قباوة ،ط٢، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

١٤- الشماخ، بن ضرار ، ديوانه ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر .

١٥- ابن الاثير ، ضياء الدين (٦٣٧هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق :أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار النهضة –الفجالة ، القاهرة .

١٦- بنت الشاطئ ،عائشة عبدالرحمن،الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق ،دار المعارف ، القاهرة – مصر ،١٣٩١هـ- ١٩٧١م .

١٧- التيمي ، عمر بن لجأ ،شعره ، تحقيق :يحيى الجبوري، ط٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م

١٨- أبو الفرج ، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) نقد الشعر ، ط١ ، مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، ١٣٠٢هـ

١٩- - ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ)طبقات فحول الشعراء ، تحقيق:محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة .

٢٠- الزبيدي ، محمد بن محمد عبدالرزاق ،أبو الفيض الملقب بالزبيدي (١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق :مجموعة من المحققين ،دار الهداية .

٢١- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، جمال الدين ابن منظور الانصاري(٧١١هـ) لسان العرب، ط٣، دار صادر ،بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ

٢٢- المبرد ،محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٣- الرافعي ، مصطفى صادق (١٣٥٦هـ) تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي .

٢٤- الجعدي ، النابغة ، ديوانه ، الدكتور واضح الصمد ، ط١، دار صادر ، ١٩٩٨م.

٢٥- الذبياني ، النابغة ، ديوانه ، شرح عباس عبد الستار ،ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٢٦- العكلي، النمر بن تولب ،جمع وشرح د. نبيل محمد طريفي ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٠م

الدوريات

١- محمود ، محمد عارف ، النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعصر الخلافة الراشدة ،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،السنة الخامسة عشر ، العدد الثامن والخمسون ، ربيع الاخر-جمادي الاولى – جمادي الأخرة ، ١٤٠٣هـ.

٢- العطوي ، مسعود ، الوضوح والغموض في الشعر العربي ، مجلة جامعة الامام محمد ، العدد الثاني ، السعودية ،١٤١٠هـ